

النقابي الفلسطيني بولس فرح

[إن اتفق المرء مع بولس فرح، أو اختلف معه، فلا يمكن إلا الاعتراف بأنه علامة بارزة في تاريخ الفكر السياسي، والعمل النقابي، الفلسطيني. فهو واحد من أبرز مؤسسي وقياديي الحركة النقابية العربية في فلسطين. عاصر، خلال فترة حياته، أحداثاً جساماً، وعاش هذه الاحداث بتفاصيلها، وكانت له مساهماته الفكرية، والسياسية، والتنظيمية.

ومنذ انخراطه في خضم الحياة السياسية والنقابية، كان فرح، وما زال، اميناً مخلصاً لأرائه ولعقدهاته التي يؤمن بها؛ يدافع عنها بقوة، ويرفض المساومة عليها، أو التنازل عنها. وقد تحمل، من أجل قناعاته، الكثير. تحمل هجمات الأعداء، وانتقادات الاصدقاء. وتحلى، بسبب هذه القناعات، عن مواقع قيادية في التنظيم النقابي الذي نذر حياته له، وفي التنظيم السياسي الذي وجد ضالته فيه، وصار خارج «اتحاد نقابات وجمعيات العمال العرب»، وخارج «عصبة التحرر الوطني»، وهما الاطاران اللذان كان له اليد الطولى في تأسيسهما، وتطورهما.

ومنذ ذلك الحين، وهو يغرد خارج الاسراب الحزبية والتنظيمية المتواجدة في المناطق المحتلة العام ١٩٤٨. أحياناً، يجد بعض الاصدقاء والتأييد، وأحياناً أكثر، يواجه هجمات معارضية، باتجاهاتهم المختلفة، بدءاً من السلطة، وانتهاء بالحزب الشيوعي الاسرائيلي. الا ان الاطراف كافة تجمع، على ان فرح شخص فريد متميز، ومثقف واسع المعرفة والاطلاع. فهو فلسطيني في احساسه الوطني، وعربي في انتمائه القومي، وأممي في مواقفه وتوجهاته.

ان الارضية التي يقف عليها فرح، هي ارضية وطنية تقدمية؛ فخلال حياته الطويلة، بقي مخلصاً لأرائه، ولم يسقط طمعاً في مال، أو منصب؛ ولم يهادن، على الرغم من قساوة العيش وصعوبة الحال.

ان ما يأخذه البعض عليه، هو ابتعاده من الاطر السياسية والتنظيمية منذ ان ترك عصبة التحرر الوطني بعد موافقتها على قرار التقسيم. فقرار التقسيم كان جريمة في نظر فرح. فلسطين، في رأيه، لا يمكن اقتسامها؛ لذلك اختار القرار الصعب، وهو البقاء خارج الاطر السياسية. والسؤال الجوهرى الذي يجب ان يطرح على منتقديه: أليس من حق هذا المناضل، والمفكر، ان يكون خارج الاطر السياسية المطروحة، عندما لا تعبر هذه الاطر عن مواقفه ومبادئه؟ أم ان معايير اليوم بلغت من القساوة درجة تسلب الانسان المخلص هذا الحق؟

ان ما يقوله فرح يتوافق مع قناعات الكثيرين. الا ان بعض هؤلاء لا يجروء على الافصاح عن تأييده، إما لمصالح حزبية ضيقة، وأما لاسباب اخرى يصعب تحديدها.

ولد بولس فرح في العام ١٩١٠، في مدينة الناصرة؛ ثم انتقلت عائلته الى حيفا في العام ١٩٢٤، ليعمل هناك وهو في سن الرابعة عشرة في مطبعة النفير. ثم تركها ليلتحق بالعمل في ورش سكك حديد فلسطين. والتحق بـ «جمعية العمال العربية» وهو في سن الخامسة عشرة؛ تلك الجمعية التي أنشئت في العام ١٩٢٥ كتنظيم عمالي عربي، مقابل «جمعية العمال اليهود - الهستدروت». وشارك في مؤتمر العمال العرب، الذي عقد، في العام ١٩٣٠، في حيفا، مندوباً عن عمال السكك الحديدية. وفي العام ١٩٣٤، انتقاه الحزب الشيوعي الفلسطيني للالتحاق